جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية



قصة لوط عليه السلام في العهد القديم والقرآن الكريم

دراسة عقدية مقارنة

دكتور

أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بجامعة القصيم

مستلة من

حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد السادس والثلاثون، لعام ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٦١٥٧/٢٠١٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

مستخلص البحث

موضوع البحث: (قصة لوط (عليه السلام) في العهد القديم والقرآن الكريم: دراسة عقدية مقارنة)

أهداف البحث: بيان حال لوطٍ، (عليه السلام)، والذب عنه، وتبرئته مما وصمه به العهد القديم، وتسللَ عبر الإسرائيليات إلى كتب المفسرين. وإبراز الحق المطلق في نصوص القرآن العظيم مقارنة بما لحق الكتب السابقة من التحريف.

منهج البحث: المنهج التحليلي النقدي المقارن.

أهم النتائج:

١- اتفاق نصوص العهد القديم والقرآن الكريم على إيمان لوطٍ بإبراهيم، وتوجهه إلى قرى سدوم للدعوة إلى عبادة الله، ونبذ الرذائل. واتفاقهما على حصول الوفادة الملائكية لإبراهيم بالبشرى، وإهلاك قوم لوط، ومجادلته في ذلك.

٢- تضمُّنُ رواية العهد القديم مجيء الرب، سبحانه، لإبراهيم، بصورة بشرية، في الأرض، ولحوق أعراض النقص والظلم به، تعالى عن ذلك، ومخاطبة إبراهيم إياه بما لا يليق. وكل ذلك مما يأباه القرآن العظيم.

٣- اتفق النَّصَّان على ضيافة لوط للملائكة، وهجوم قومه المسعور على بيته، ووقوعه في ضيق وحرج شديد، ومدافعته إياهم، وممانعته، إلى حد عرض بناته عليهم، وإخبار الملائكة إياه بحقيقتهم ومهمتهم، وأمره بالخروج بأهله، وعدم الالتفات.

٤- قصر رواية العهد القديم الوفد على اثنين فقط، وأن لوطًا دعاهما ابتداءً لمنزله، وتجزم بعرض ابنتيه على قومه على سبيل السفاح، وتدعي أن فرصة النجاة كانت ممنوحة لأصهاره، وأنه تلكأ بالخروج ليلًا. بينما يدل القرآن على الوفد جمع، وأنهم جاؤوا قصدًا لمنزله. ويجمع المفسرون أنه أراد النكاح؛ إما لبناته، أو بنات قومه، لا السفاح. وأن الإنجاء يختص به وابنتيه، وأنه بادر بامتثال أمر ربه بالخروج بأهله ليلًا.

٥- يتفق النَّصَّان على أن الإهلاك وقع صباحًا، حين الشروق، بقلب المدينة رأسًا على عقب، وإمطارها بالحجارة من السماء. وأن الله نجى لوطًا وابنتيه، وأهلك امرأته بسبب الالتفات.

٦- تضمُّن رواية العهد القديم تفاصيل في صفة الخروج، ليس في القرآن ما يثبتها أو ينفيها، فلا تصدق ولا تكذب. وزعمها أن امرأة لوط استحالت "نصب ملح"، بينما يذكر القرآن "إنه مصيبها ما أصابهم". كما تصم رواية العهد القديم الرب سبحانه، بالنسيان، فالتذكر، وتصم ابنتي لوط، (رضي الله عنهما)، بالتحايل على أبيهما، وسقياه الخمر، والتناوب في الاضطجاع معه، والحمل منه! والدياثة بعدم إنكار ذلك. وينزه القرآن الرب، سبحانه، عن صفات النقص، ويبرئ لوطًا وابنتيه من فعل السيئات.

النتائج: سلامة النص القرآني، وإحكامه، واطراده، وموافقته للعقل والفطرة. وثبوت التحريف والعبث بنصوص العهد القديم، وتناقضها، ومنافاتها لما يليق بالله ورسله الكرام.

التوصيات: إجراء الدراسات العقدية المقارنة الواعية التي تجعل من النص القرآني المحفوظ أصلًا ومرجعًا. وإبراز أوجه الاتفاق، ونقد أوجه الافتراق. وتنقية كتب التفسير من الإسرائيليات المدسوسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه، وجعله تبيانًا لكل شيء، فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل: ٧٦]. وتكفل بعد إنزاله بحفظه، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩]، والصلاة والسلام على أولى الناس بأنبيائه ورسله، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥].

أما بعد:

فقد أرسل الله رسوله محمدًا (ﷺ) على حين فترة من الرسل، واشتباه من السبل، ليرد الحق إلى نصابه، ويهتف بالدخول إليه من بابه: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ [البينة: ١ - ٣]، وخصَّ أهل الكتاب، فقال: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقد جرى من أهل الكتاب، لاسيما يهود، تحريف لكتب الله وكتمان، ولحنٌ ولَيُّ لسان. قال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال: ﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٨]، وقال: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ

قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١]. لذلك توعدهم على التحريف بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ٧٩]، وذمهم على الكتمان بقوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[آل عمران: ١٨٧].

وقد طال هذا التحريف والبهتان عباده الذين اصطفى من أنبياء بني إسرائيل، (ﷺ)، من أعدائهم الموتورين، فلفقوا التهم، وأدخلوها في كتبهم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان: ٣١]، وكان من هداية الله ونصره أن بعث محمدًا (ﷺ) بالذكر الحكيم، والكتاب العزيز الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[فصلت: ٤٢]، فذبَّ عن أعراض الأنبياء، وبرَّأ ساحتهم من دعاوى الشانئين. وسبَّح الرب نفسه، وسلَّم على أنبيائه، وحمد شأنه، فقال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

وكان نصيب نبي الله "لوط" (عليه السلام)، من هذا البلاء شديدًا، كيف لا! وقد قال (ﷺ): (أشد الناس بلاء الأنبياء)(١).

وهذا بحث مختصر، يهدف إلى تجلية شخصية هذا النبي الكريم، من خلال المقارنة بين نصوص العهد القديم، ونصوص القرآن العظيم، لا باعتبارهما ندّين متناظرين، كما تفعله بعض أبحاث ما يسمى: "علم مقارنة الأديان"(٢)، ولكن باعتقاد الحق المطلق ما جاء به القرآن، ثم مقارنة أوجه الاتفاق والافتراق بينهما، ليحِقَّ الحقُّ، ويَبطُلَ الباطلُ. وقد أسميت هذا البحث: (قصة لوط (عليه السلام) في العهد القديم والقرآن الكريم: دراسة عقدية مقارنة).

وهذا اللون من الدراسات يكشف، بشكل سافر، الفرق بين كلام الله المحفوظ المصون من التحريف، والإضافة، والنقصان، وبين ما عقدت عليه القلوب الفاجرة، وأملته الألسنة الكاذبة، وكتبته الأيدي الآثمة، من الإفك والبهتان على الله تعالى وأنبيائه، وخيرته من خلقه.

وسوف تجري مراحل البحث من خلال المباحث التالية:

- **المبحث الأول:** التعريف بمفردات العنوان: لوط (عليه السلام)، العهد القديم، القرآن الكريم.
- **المبحث الثاني:** مقدمات الإهلاك.

---

(١) أحمد في المسند (٢٧٠٧٩), والنسائي في الكبرى (٧٤٨٢), سنن الترمذي (٢٣٩٨), سنن ابن ماجة (٤٠٢٤), والدرامي في سننه (٢٨٢٥) صححه الألباني (٩٩٢) صحيح الجامع.

(٢) يقول الأستاذ محمد محمد حسين، (~)، في محاضرة بعنوان: "الإسلام والعالمية"، أو ما يسمى اليوم "العولمة": (وليست الدراسات الحديثة في الدين المقارَن، والأدب المقارن، والقانون المقارن، وعلم اللغة المقارن ... وأشباهها إلا فروعًا من هذا التصور) الإسلام والحضارة الغربية. محمد محمد حسين. (١٨٠).

- **المبحث الثالث:** لوطٌ، (عليه السلام)، قبل إهلاك قومه.
- **المبحث الرابع:** لوطٌ، (عليه السلام)، بعد إهلاك قومه.
- **الخاتمة:** وبها النتائج والتوصيات.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كتبه الدكتور

أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي
قسم العقيدة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

المبحث الأول
التعريف بمفردات العنوان

لوط (عليه السلام):

ورد اسم لوطٍ في القرآن الكريم في سبعةٍ وعشرين موضعًا. وقد أثبت الله رسالته بقوله: ﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[الصافات: ١٣٣]. كما أثبت ذلك لنفسه: ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٢]. وأثنى الله عليه ثناءً عطرًا، فقال: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٤، ٧٥]، وأثنى عليه نبينا (صلى الله عليه وسلم)، فقال: (يَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ) متفق عليه[1]، يشير إلى قوله (عليه السلام): ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾ [هود: ٨٠].

وقد كان إيمانه على يد خليل الرحمن، إبراهيم، كما قال تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾[العنكبوت: ٢٦]. وليس في القرآن نص صريح يشير إلى درجة القربى بين إبراهيم، (عليه السلام). فأما قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

(١) صحيح البخاري (٣٣٧٢)، صحيح مسلم (١٥١).

[الأنعام: ٨٤ – ٨٦]، فقد جزم الطبري، (~)، بأن: ("الهاء" التي في قوله:"ومن ذريته"، من ذكر نوح. وذلك أن الله تعالى ذكره، ذكر في سياق الآيات التي تتلو هذه الآية لوطًا، فقال: "وإسماعيل واليسع ويونس ولوطًا وكلا فضلنا على العالمين". ومعلوم أن لوطًا لم يكن من ذرية إبراهيم صلى الله عليهم أجمعين. فإذا كان ذلك كذلك، وكان معطوفًا على أسماء من سمَّينا من ذريته، كان لا شك أنه لو أريد بالذرية ذرية إبراهيم، لما دخل يونس ولوط فيهم. ولا شك أن لوطًا ليس من ذرّية إبراهيم، ولكنه من ذرية نوح، فلذلك وجب أن تكون"الهاء" في"الذرية" من ذكر نوح)(١).

وحكى ابن كثير، (~)، الاحتمال واستشكله، فقال: (وَعَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى نُوحٍ، لِأَنَّهُ أقرب المذكورين ظاهر لا إشكال فيه، وهو اختيار ابن جرير. وعوده إلى إبراهيم، لأنه الذي سيق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل عليه لُوطٌ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، بَلْ هو ابن أخيه ماران بْنِ آزَرَ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ إِنَّهُ دخل في الذرية تغليبا، وكما قال في قوله أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قالُوا نَعْبُدُ إِلهَكَ وَإِلهَ آبائِكَ إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ إِلهاً واحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فإسماعيل عمه دخل فِي آبَائِهِ تَغْلِيبًا، وَكَمَا قَالَ فِي قَوْلِهِ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ فَدَخَلَ إِبْلِيسُ فِي أَمْرِ الْمَلَائِكَةِ بِالسُّجُودِ، وَذُمَّ على المخالفة لأنه كان في تَشَبَّهَ بِهِمْ، فَعُومِلَ مُعَامَلَتَهُمْ وَدَخَلَ مَعَهُمْ تَغْلِيبًا، وإلا فهو كان من الجن وطبيعته من النَّارُ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنَ النُّورِ)(٢).

وما جزم به ابن جرير، (~)، أرجح، ودعوى التغليب فيها تكلف. فإن سيرة إبراهيم، (عليه السلام)، مبسوطة في القرآن الكريم، سيما ما يتعلق بامتنان الله عليه بالولد. فلو كان لوطٌ، (عليه السلام)، من ولده، لجاء بيان ذلك صريحًا.

أما العهد القديم، فقد صرح بعمود النسب، فقال: (تارحُ ولد أبرام وناحور وهاران، وهاران ولد لوطًا. ومات هاران قبل أبيه تارح في مسقط رأسه أور الكلدانيين... وأخذ تارحُ أبرامَ ابنه، ولوطَ بن هاران ابن ابنه) سفر التكوين: ١١/ ٢٨، ٣١(٣).

وحين قال إبراهيم، (عليه السلام): ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾[العنكبوت: ٢٦]، كان لوط، (عليه السلام) بصحبته. روى الطبري بسنده عن قتادة، (~): (هاجَرا جميعا من كوثى، وهي من سواد الكوفة، إلى الشام)(٤).

وكذا جاء في العهد القديم: (وقال الرب لأبرام: "انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك، إلى الأرض، إلى الأرض التي أريك... فانطلق أبرام كما قال له الرب، ومضى معه لوط ... فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطًا ابن أخيه، وجميع أموالهما التي اقتنياها والنفوس التي امتلكاها في حاران، وخرجوا ليمضوا إلى أرض كنعان، وأتوا أرض كنعان) سفر التكوين: ١٢/ ١، ٤، ٥(٥).

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٥٠٧) ط الرسالة.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦٧) ط طيبة.

(٣) العهد القديم (٨٥).

(٤) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٦).

(٥) العهد القديم (٨٦).

وتشير رواية العهد القديم، وهو ما لا نجد له شاهدًا في القرآن، أن لوطًا صحب إبراهيم (ﷺ)، إلى مصر، وعاد معه: (فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكلُّ ما له، ولوط معه، إلى النقب. وكان أبرام غنيًا جدًا بالماشية والفضة والذهب...وكان أيضًا للوط السائر مع أبرام غنم وبقر وخيام. فلم يحتمل ضيق الأرض أن يقيما فيها معًا، لأن مالهما كان كثيرًا، فلم يمكنهما المقام معًا. فكانت خصومة بين رعاة ماشية أبرام ورعاة ماشية لوط...فقال أبرام للوط: "لا تكن خصومة بيني وبينك، ولا بين رعاتي ورعاتك، فنحن إخوة. أليست الأرض كلها أمامك؟ تنحَّ عني، إما إلى اليسار فأذهَبَ إلى اليمين، وإما إلى اليمين فأذهَبَ إلى اليسار". فرفع لوطٌ عينيه، ورأى كل سهل الأردن، فإذا كله سِقْيٌ. وكانت، قبل أن دمَّر الرب سدوم وعمورة، كجنة الرب، مثل أرض مصر وأنت آتٍ نحو صُوعَر. فاختار لوط لنفسه كل سهل الأردن، ورحل إلى المشرق، وفارق كل واحدٍ أخاه: فأقام أبرام في أرض كنعان، وأقام لوطٌ في مدن السهل وخيَّم حتى سدوم. وأهل سدوم أشرار خاطئون إلى الرب جدًا) سفر التكوين: ١٣: ١- ٢، ٥- ١٣) .

ولا نستطيع الجزم بصحة هذه التفاصيل، ولا بنفيها، فهي من جملة "الإسرائيليات" التي ليس في كتابنا ما يصدقها، أو يكذبها، ويجوز التحديث بها، كما قال (ﷺ): (وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ) رواه البخاري(١).

وقد أجمل ابن كثير، (~)، حال لوطٍ مع قومه، ساكني سدوم، وما حولها، بقوله: (وَكَانَ لُوطٌ قَدْ نَزَحَ عَنْ مَحَلَّةِ عَمِّهِ الْخَلِيلِ (ﷺ) بِأَمْرِهِ لَهُ وَإِذْنِهِ، فَنَزَلَ بِمَدِينَةِ سَدُومَ مِنْ أَرْضِ غَوْرِ زُغَرَ، وَكَانَتْ أُمَّ تِلْكَ الْمَحَلَّةِ وَلَهَا أَرْضٌ وَمُعْمَلَاتٌ وَقُرًى مُضَافَةٌ إِلَيْهَا، وَلَهَا أَهْلٌ مِنْ أَفْجَرِ النَّاسِ وَأَكْفَرِهِمْ وَأَسْوَئِهِمْ طَوِيَّةً وَأَرْدَئِهِمْ سَرِيرَةً وَسِيرَةً، يَقْطَعُونَ السَّبِيلَ، وَيَأْتُونَ فِي نَادِيهِمُ الْمُنْكَرَ، وَلَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ، لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ابْتَدَعُوا فَاحِشَةً لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ وَهِيَ إِتْيَانُ الذُّكْرَانِ مِنَ الْعَالَمِيْنِ، وَتَرْكُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ النِّسْوَانِ لِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، فَدَعَاهُمْ لُوطٌ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَهَاهُمْ عَنْ تَعَاطِي هَذِهِ الْمُحَرَّمَاتِ، وَالْفَوَاحِشِ الْمُنْكَرَاتِ، وَالْأَفَاعِيلِ الْمُسْتَقْبَحَاتِ فَتَمَادَوْا عَلَى ضَلَالِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى فُجُورِهِمْ وَكُفْرَانِهِمْ، فَأَحَلَّ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْبَأْسِ الَّذِي لَا يُرَدُّ مَا لَمْ يَكُنْ فِي خَلَدِهِمْ وَحُسْبَانِهِمْ، وَجَعَلَهُمْ مُثْلَةً فِي الْعَالَمِينَ، وَعِبْرَةً يُتَّعِظُ بِهَا الْأَلِبَّاءُ مِنَ الْعَالِمِينَ)(٢). وسوف يأتي لذلك مزيد بيان في المباحث التالية.

العهد القديم:

أحد مكونيّ ما يعرف بـ"الكتاب المقدس". وهو مصطلح كنسي، يقع على كتابين مختلفين: العهد القديم، والعهد الجديد. والأول، كما تقول الرهبانية اليسوعية(٣): (مكتبة، بل مجموعة كتب مختلفة جدًا... تمتد على أكثر من عشرة قرون، وتنسب إلى عشرات من المؤلفين المختلفين. وبعضها وُضع بالعبرية، مع بعض المقاطع بالآرامية، وبعضها الآخر

---

(١) صحيح البخاري (٣٤٦١).

(٢) البداية والنهاية (١/٤٠٨- ٤٠٩) ط هجر.

(٣) لعل من أفضل الطبعات العربية لما يُسمى: "الكتاب المقدس" تلك التي اعتنت بها "الرهبانية اليسوعية، على مدى مائة عام (١٨٨١-١٩٨٩م) ترجمةً وصياغةً وإخراجًا، وخدمةً للنص بالدراسة والحواشي والإحالات. وهي المعتمدة في هذا البحث. وقد جرت المحافظة على رسم الطبعة المذكورة، رغم وجود ملاحظات على علامات الترقيم.

باليونانية، وهي تنتمي إلى أشد الفنون الأدبية اختلافًا، كالرواية التاريخية، ومجموعة القوانين والوعظ والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة)[١].

ومصطلح (العهد) مستمدٌ من اعتقاد اليهود بالمواعد والعهود التي قطعها الرب على نفسه لإبراهيم، كما ورد في سفر التكوين: (في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام عهدًا قائلًا: "لنسلك أعطي هذه الأرض؛ من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات) سفر التكوين: ١٥: ١٨[٢].

وأما "كتاب العهد" عند اليهود، فيريدون به ما كتبه الله لموسى (عليه السلام)، حين جاء لميقات ربه، فقد جاء في سفر الخروج: (وأخذ كتاب العهد فتلا على مسامع الشعب فقال: "كل ما تكلم الرب به نفعله ونسمعه. فأخذ موسى الدم ورشه على الشعب وقال: "هوذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال") سفر الخروج: ٢٤: ٧-٨.

أما الوصف بالقِدَم والجِدَّة، فهو تكييف نصراني، ليس إلا! تقول الرهبانية اليسوعية: (إن إسرائيل لم يكن يعرف إلا إلهًا واحدًا، لا يُرى، ويفوق كل شيء، وهو الرب. وكان يعبر عن صلته بالله بلفظ حقوقي هو العهد. وكان يخضع وجوده كله لهذا العهد وللشريعة الناتجة عنه، فازداد نمط حياته تعارضًا مع نمط حياة سائر الأمم. فكل القسم العبري من الكتاب المقدس يتعلق بهذا العهد كما عاشه إسرائيل وفكر فيه ... في القرن الأول للمسيح، تشتت اليهود ونشأت الجماعة المسيحية وانفصلت شيئًا فشيئًا عن الدين اليهودي. في نظر المسيحيين، تم تاريخ شعب الله في يسوع الناصري، ففيه جمع الله مختلف الشعوب لتكوين شعب يحكمه عهد جديد. وهذا العهد عهد نهائي يجعل من العهد الذي حكم إسرائيل مرحلة ضرورية، ولكن لابد من تجاوزها. فوصفه المسيحيون بالعهد القديم وأطلقوا هذا الاسم على الكتب الصادرة عن إسرائيل، وأطلقوا اسم العهد الجديد على الكتب التي تتكلم على يسوع ورسالته)[٣].

وبالتالي فـ(ليس العهد القديم "قديمًا" إلا بالنسبة إلى العهد الجديد الذي أقامه يسوع المسيح)[٤].

وتعرف الرهبانية اليسوعية العهد القديم بأنه: (مجموعة مؤلفات خطيَّة كان اليهود يسمونها: "الشريعة والأنبياء والمؤلفات" أو "الكتاب". ولمَّا رأى المسيحيون أن كتبهم "الرسولية" تنص على تدابير "عهد جديد"، قام بين الله وشعبه، أطلقوا على الكتب السابقة اسم "العهد القديم")[٥].

يقول د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي: (كتب اليهود الدينية تشتمل على ثلاث مجموعات، وهي:

---

(١) الكتاب المقدس. العهد القديم. مدخل إلى الكتاب المقدس: (٣٩) .ط: الرهبانية اليسوعية. دار المشرق ش.م.م. بيروت الثالثة:١٩٩٤م, وانظر أيضًا:

(Grolier Academic Encyclopedia> B ٣ (Bible) ٢٣٧-٢٣٩)

(٢) العهد القديم(٩٠).

(٣) الكتاب المقدس. العهد القديم. مدخل إلى الكتاب المقدس(٢٩- ٣٠).

(٤) الكتاب المقدس. العهد القديم. مدخل إلى العهد القديم (٥٥).

(٥) الكتاب المقدس. العهد القديم. مدخل إلى العهد القديم (٣٩).

١- أسفار التوراة (توراة).

٢- أسفار الأنبياء (نَبيئيم).

٣- أسفار الكتب (كُتُبيم).

وهي تسمى باختصار "التناخ": وهي كلمة منحوتة من الحروف الأول لأسماء المجموعات الثلاث؛ فالتاء للتوراة، والنون للنبيين، والكاف للكتب، وأصبحت الكاف خاءً لوقوعها بعد المد)[١].

وحيث قد ثبت وقوع التحريف منهم بنص كتاب الله، كما وقع الاعتراف من لاهوتييهم أن واضعيها "عشرات المؤلفين"، كما تقدم، كان لأهل الإسلام، تجاه هذه "الإسرائيليات" موقف منصف، عبر عنه الحافظ ابن كثير، (~)، بقوله: (فَإِنَّهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ، فَذَاكَ صَحِيحٌ.

وَالثَّانِي: مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ.

وَالثَّالِثُ: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ لَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، فَلَا نُؤْمِنُ بِهِ وَلَا نُكَذِّبُهُ، وَتَجُوزُ حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ، وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تَعُودُ إِلَى أَمْرٍ دِينِيٍّ؛ وَلِهَذَا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي هَذَا كَثِيرًا، وَيَأْتِي عَنِ الْمُفَسِّرِينَ خِلَافٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ، كَمَا يَذْكُرُونَ فِي مِثْلِ هَذَا أَسْمَاءَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَلَوْنَ كَلْبِهِمْ، وَعِدَّتِهِمْ، وَعَصَا مُوسَى؛ مِنْ أَيِّ الشَّجَرِ كَانَتْ؟ وَأَسْمَاءَ الطُّيُورِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَتَعْيِينَ الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ الْقَتِيلُ مِنَ الْبَقَرَةِ، وَنَوْعَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كلَّم اللَّهُ مِنْهَا مُوسَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَبْهَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ، مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَلَا دِينِهِمْ. وَلَكِنَّ نَقْلُ الْخِلَافِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ جَائِزٌ)[٢].

وتأسيسًا عليه، فسوف تتم محاكمة نصوص العهد القديم، إلى آيات الذكر الحكيم.

المبحث الثاني

مقدمـــــات الإهلاك

---

(١) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند. د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي. ط: مكتبة الرشد. الثانية. الرياض. ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م. (١٢٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٩).

يكشف هذا المبحث عن الإرهاصات التي سبقت إهلاك قوم لوط، بعد أن استنفد، (عليه السلام)، جميع المحاولات في سبيل هدايتهم وموعظتهم. وهناك تشابه كبير في ترتيب الأحداث، وبعض المقالات بين العهد القديم، والقرآن الحكيم. كما أن هناك فروقات كبيرة تكشف عن امتداد يد التحريف لأسفار يهود. وسوف نعقد مقارنة بين النصوص، نتبعها بالنقد والتحليل:

استهل هذا الحدث الإلهي الرهيب بمجيء الملائكة إلى إبراهيم، (عليه السلام)، مؤذنين إياه بإهلاك قوم لوط. وقد ذكر الله هذه الوفادة في مواضع من القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦) ﴾[هود: ٦٩ – ٧٦].

قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) ﴾ [الذاريات: ٢٤ – ٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) ﴾ [العنكبوت: ٣١ – ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾ [الحجر: ٥٧– ٦٠].

ويستخلص من هذه الآيات الكريمات الفوائد التالية:

١– أن ضيف إبراهيم ملائكة كرام متشكلون بهيئة بشرية، لا يطعمون.

٢- أن إبراهيم، (ﷺ)، لم يعرف بادئ الأمر، حقيقتهم، وأنكرهم، وأوجس منهم خيفة، حتى عرَّفوه بأنفسهم.

٣- أنهم مرسلون بمهمتين: البشارة بإسحاق، (ﷺ)، وإهلاك قوم لوط.

٤- أن إبراهيم، (ﷺ)، قد جادل في شأن إهلاكهم، وذكَّر بوجود لوط.

وأما في العهد القديم، فقد جاء وصف هذه المرحلة بالصورة التالية:

(وتراءى الرب له عند بلُّوط مَمْرا[1]، وهو جالس بباب الخيمة، عند احتداد النهار. فرفع عينيه ونظر، فإذا ثلاثة رجال واقفون بالقرب منه. فلما رآهم بادر إلى لقائهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض. وقال: "سيدي، إن نلت حُظوةً في عينيك، فلا تَجُز عن عبدك، فيُقَدَّمُ لكم قليل من الماء فتغسلون أرجلكم وتستريحون تحت الشجرة، وأُقدِّم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم، ثم تمضون بعد ذلك، فإنكم لذلك جُزتُم بعبدكم". قالوا: "افعل كما قلت". سفر التكوين: ١٨: ١-٥ [2].

(ثم قام الرجال من هناك واتجهوا نحو سدوم، ومضى إبراهيم معهم ليشيعهم. فقال الرب: "أأكتم عن إبراهيم ما أنا صانعه، وإبراهيم سيصيرُ أمة كبيرة مقتدرة وتتباركُ به أمم الأرض كلها؟ وقد اخترته ليوصي بنيه وبيته من بعده بأن يحفظوا طريق الرب ليعملوا بالبر والعدل، حتى ينجز الرب لإبراهيم ما وعده به".

فقال الرب: "إن الصراخ على سَدومَ وعَمورَةَ قد اشتد وخطيئتهم قد ثقلت جدًا. أنزل وأرى هل فعلوا أم لا بحسب ما بلغني من صراخ عليها، فأَعلَم".

وانصرف الرجلان من هناك ومضيا نحو سدوم، وبقي إبراهيم واقفًا أمام الرب. فتقدم إبراهيم وقال: "أحقًّا تهلك البار مع الشرير؟ لعله يوجد خمسون بارًّا في المدينة، أحقًّا تهلكها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين بارًّا الذين فيها؟ حاشَ لك أن تصنع مثل هذا: أنت تميت البارَّ مع الشرير، فيكون البار مع الشرير. حاشَ لك! أديَّان الأرض كلها لا يدين بالعدل؟. فقال الرب: "إن وجدتُ في سدوم خمسين بارًّا في المدينة، فإني أصفح عن المكان كله من أجلهم".

فأجاب إبراهيم وقال: "قد أقدمت على الكلام مع سيدي، وأنا تراب ورماد. لَرُبَّما نقص الخمسون بارًّا خمسة، أفتهلكُ المدينةَ كلها بسبب الخمسة؟" فقال: "لا أهلكها إن وجدتُ هناك خمسة وأربعين. ثم عاد أيضًا وكلَّمه فقال: "لَرُبَّما وجد هناك أربعون". فقال: "لا أفعل من أجل الأربعين". قال إبراهيم: "لا يغضب سيدي أن أتكلم: "لَرُبَّما وجد هناك ثلاثون". قال: "لا أفعل، إن وجدتُ هناك ثلاثين". قال: "قد أقدمت على الكلام مع سيدي: "لَرُبَّما وجد هناك عشرون". قال: "لا أهلك من أجل العشرين". فقال: "لا يغضب سيدي أن أتكلم أيضًا هذه المرة الأخيرة: "لَرُبَّما وجد هناك عشرة". قال: "لا أهلك من أجل العشرة". ومضى الرب عندما انتهى من الكلام مع إبراهيم، ورجع إبراهيم إلى مكانه)[3] سفر التكوين: ١٨: ١٦-٣٣.

---

(١) موضع أقام فيه إبراهيم، (ﷺ)، بعد مفارقته للوط، حسب العهد القديم: (فانتقل أبرام بخيامه وجاء فأقام في بلُّوط مَمْرا التي بِحَبرون) سفر التكوين (١٨:١٢).

(٢) العهد القديم (٩٢- ٩٣).

(٣) العهد القديم (٩٣- ٩٤).

ويتضح من خلال المقارنة بين النصوص القرآنية، ونص العهد القديم، أوجه الاتفاق التالية:

١- حصول الوفادة الملائكية على إبراهيم، (عليه السلام).

٢- قيام إبراهيم، (عليه السلام)، بمقتضيات الضيافة والإكرام.

٣- البشارة بالولد، وحصول العجب من إبراهيم، (عليه السلام) وزوجه سارة.

٤- الإخطار بإهلاك قرى قوم لوط.

٥- مجادلة إبراهيم، ومحاولته الدفع.

وأما أوجه الافتراق بين نصوص الذكر الحكيم، ونصوص العهد القديم، ففي الجوانب المهمة التالية:

١- **ينص العهد القديم على أن إبراهيم رأى الرب تعالى! "وتراءى الرب له عند بلُّوط مَمْرا" وأنه كان ضمن الرجال الثلاثة! وقد علقَّ اللاهوتيون من الرهبانية اليسوعية على هذه الجملة بالقول:** (تقص علينا هذه الرواية، في تحريرها النهائي، ظهورًا للرب يرافقه "رجلان" هما ملاكان. ويتكرر النص في عدة آيات بين المفرد والجمع)(١)!.

وتتتابع الشواهد على الدلالة على هذا المعنى؛ فهو يخاطبه بلفظ (سيدي) و (عبدك)، ويسجد له: "وسجد إلى الأرض. وقال: "سيدي، إن نلت حُظوةً في عينيك، فلا تَجُز عن عبدك"، ويواجهه مواجهة الند للند: "وبقي إبراهيم واقفًا أمام الرب"، ويجادله مجادلة الغريم لغريمه: " أحقًا تهلك البار مع الشرير؟ لعله يوجد خمسون بارًّا في المدينة، أحقًا تهلكها ولا تصفح عنها من أجل الخمسين بارًّا الذين فيها؟ حاشَ لك أن تصنع مثل هذا: أنت تميت البارَّ مع الشرير، فيكون البار مع الشرير. حاشَ لك! أديَّان الأرض كلها لا يدين بالعدل؟".

سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم! أين هذا التشبيه بالمخلوقات، والحلول في الكائنات، من جلالة النص القرآني الذي يثبت لله "المثل الأعلى"، فـ(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) [الشورى: ١١]؟.

٢- **أن "الرب" المزعوم، في رواية العهد القديم، تلحقه العوارض البشرية؛ من الشعث، والتعب، والجوع:** "فتغسلون أرجلكم وتستريحون تحت الشجرة، وأُقدِّم كسرة خبز فتسندون بها قلوبكم"، متردد يسائل نفسه: "أأكتم عن إبراهيم ما أنا صانعه؟"، جاهل بحقائق الأمور، يحتاج للتثبت بنفسه: "إن الصراخ على سَدومَ وعَمورَةَ قد اشتد، وخطيئتهم قد ثقلت جدًا. أنزل وأرى هل فعلوا أم لا؟ بحسب ما بلغني من صراخ عليها، فأَعلَم".

تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا! أين هذا التنقص البشع من إثبات القرآن لصفات الكمال، ونعوت الجلال، للرب سبحانه، ونفي صفات النقص والعيب ومماثلة المخلوقين، كقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق: ٣٨]، وقوله: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:

---

(١) العهد القديم (٩٢) حاشية رقم ١.

٥٩]، وقوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١]

٣- تظهر رواية العهد القديم حكم الرب القدري، وكأنما هو ضرب من الظلم والتعسف، وأن له مُعَقِّب: " أديَّان الأرض كلها لا يدين بالعدل؟"! ثم تتلوه سلسلة من المماكسات التي لا تليق بحق الله ولا بأنبياء الله. وهذا بخلاف الحكم الشرعي، الذي يطلب فيه التخفيف، كما جرى لنبينا (ﷺ) حين فرضت عليه الصلاة خمسين صلاة في اليوم والليلة، فما زال يراجع ربه، يسأله التخفيف عن أمته، حتى وضعها إلى خمس، وقال: (إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزِي الحَسَنَةَ عَشْرًا)(١). فهذا لون، وذاك لون. قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾[الرعد: ٤١].

قال الطبري، (~): (والله هو الذي يحكم فيَنْفُذُ حكمُه، ويَقْضي فيَمْضِي قضاؤه، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة حُكْم الله وقضاؤُه لم يستطيعوا رَدَّهَ. ويعني بقوله: "لا معقّب لحكمه": لا راد لحكمه)(٢).

٤- لا تُظهر رواية العهد القديم دفاعًا خاصًا من إبراهيم عن لوطٍ، (ﷺ)، بل تُظهر مرافعة عن قوم لوط، استشفاعًا بوجود قلة مؤمنة غير مسماة، ولا محددة بعدد أكيد: " لعله يوجد خمسون بارًّا في المدينة"(٣) بخلاف دلالة القرآن التي تنص على تنويه إبراهيم بلوطٍ، (ﷺ): ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٢]

المبحث الثالث

لوطٌ، (عليه السلام)، قبل إهلاك قومه

يصف القرآن العظيم حال لوطٍ مع قومه، واجتهاده في دعوتهم، وموعظتهم ومجادلتهم بالحجج العقلية والفطرية، ومقابلتهم إياه بالتهديد بالطرد والنفي، ثم إعلان براءته من أعمالهم المشينة، وسؤال ربه النجاة من شؤم أعمالهم، فيقول: ﴿

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٠٧).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٩٨).

(٣) قد تسللت هذه الروايات الإسرائيلية إلى كتب التفسير، عن طريق مسلمة أهل الكتاب، فينبغي التنبه لها، ولأمثالها.

كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهۡلِي مِمَّا يَعۡمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٠ – ١٦٩].

والمشهد التالي لمغادرة "ضيف إبراهيم"، هو نزولهم على لوطٍ، (عليه السلام). ويصف القرآن الكريم هذا الحدث المحرج العصيب، بما يلي:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود: ٧٧– ٨١]

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر: ٦١– ٧٢]

وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٣ – ٣٤]

ويستخلص من الآيات الكريمات الأحداث التالية:

١– أن لوطًا أنكر أضيافه، وشعر بالحرج، وضاق بهم ذرعًا، لما توقعه من قومه.

٢– أن قومه تسامعوا بخبر ضيفه، فجاؤوا متلهفين لفعل الفاحشة العظمى.

٣– أن لوطًا حاول جاهدًا صدهم عن أضيافه، إلى حد عرض بناته على قومه، ولحقه كرب عظيم.

٤- أن الملائكة الكرام طمأنوه، وأمنُّوه، وعرفوه بحقيقتهم، وأخبروه بمهمتهم في إهلاك قومه، وصفة الإهلاك.

٥- أن الملائكة الكرام أرشدوه إلى الخروج بأهله ليلًا، وأن يكون من ورائهم، وألا يلتفتوا عند سماع العذاب.

أما رواية العهد القديم، فتطنب في ذكر هذه الماجريات على نحو آخر:

(فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سَدُومَ مَسَاءً، وَكَانَ لُوطٌ جَالِسًا عند بَابِ سَدُومَ. فَلَمَّا رَآهُمَا لُوطٌ، قَامَ للقائهِمَا وَسَجَدَ بِوَجْهِهِ إِلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: "سَيِّدَيَّ، مِيلاَ إِلَى بَيْتِ عَبْدِكُمَا وَبِيتَا وَاغْسِلاَ أَرْجُلَكُمَا، ثُمَّ تُبَكِّرَانِ وَتَمضيان فِي سبيلكُمَا". فَقَالاَ: "لاَ، بَلْ فِي السَّاحَةِ نَبِيتُ". فَأَلَحَّ عَلَيْهِمَا كثيرًا، فَمَالاَ إِلَيْهِ وَدَخَلاَ منزله. فَصَنَعَ لَهُمَا مَأْدُبةً وَخَبَزَ فَطِيرًا، فَأَكَلاَ. وَقَبْلَ أن يضْطَجَعَا إذا بأهل الْمَدِينَةِ، أهل سَدُومَ، قد أحاطوا بالمنزل، مِنَ الصبي إِلَى الشَّيْخِ، جميع القوم إلى آخرهم. فَنَادَوْا لُوطًا وَقَالُوا لَهُ: "أَيْنَ الرَّجُلاَنِ اللَّذَانِ قدِما إِلَيْكَ في هذه اللَّيْلَةَ؟ أَخْرِجْهُمَا لِكي نَعْرِفَهُمَا".

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ لُوطٌ إِلَى المدخل وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَهُ وَقَالَ: "أسألكم ألاَّ تَفْعَلُوا شَرًّا يَا إِخْوَتِي. هُاءنذَا لِي ابْنَتَانِ ما عرفتا رَجُلاً: أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ، فَاصنعوا بِهِمَا مَا حَسنَ فِي أعيُنِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ، فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي". فَقَالُوا: "تنح من هنا!". ثُمَّ قَالُوا: "هذَا رجل ينزل بنا فيقيم نفسه حاكمًا! الآنَ نَفْعَلُ بِكَ أسوأ مما نفعل بهُمَا". وضيقوا على لُوطٍ وَتَقَدَّمُوا لِيُكَسِّرُوا الْبَابَ. فَمَدَّ الرَّجُلاَنِ أَيْدِيَهُمَا وَأَدْخَلاَ لُوطًا إِلَيْهِمَا إِلَى الْبَيْتِ وَأَغْلَقَا الْبَابَ. وَأَمَّا القوم الَّذِينَ عند بَابِ الْبَيْتِ فَضَرَبَاهُمْ بِالْعَمَى، مِنَ صغيرِهم إِلَى كبيرِهم، فَلم يقدروا أَنْ يَجِدُوا الْبَابَ.

وَقَالَ الرَّجُلاَنِ لِلُوطٍ: "مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبنوكَ وَبَنَاتِكَ وجميع مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْهم مِنَ هذا الْمَكَانِ، فإِنَّنَا مُهْلِكَانِ هذَا الْمَكَانَ، فقَدْ اشتد الصُّرَاخُ عليهم أَمَامَ الرَّبِّ، وقد أَرْسَلَنَا الرَّبُّ لِنُهْلِكَ المدينة". فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الذين سيتخذون بَنَاتِهِ وَقَالَ لهم:"قُومُوا واخْرُجُوا مِنْ هذَا الْمَكَانِ، لأَنَّ الرَّبَّ مُهْلِكٌ الْمَدِينَةَ". فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ.

فلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ، أَلَحَّ الْمَلاَكَانِ على لُوطٍ قَائِلَيْنِ: "قُمْ فخُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ هنا، لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِعقاب الْمَدِينَةِ". فتردَّد لوط، فأَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ، وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ.

فلَمَّا أَخْرَجَاهُمْ إِلَى خَارِجٍ قَالَا: "انج بنفسك. لاَ تلتفت إِلَى وَرَائِكَ، وَلاَ تَقِفْ فِي السهل كله، وانج إِلَى الْجَبَلِ لِئَلاَّ تَهْلِكَ". فَقَالَ لَهُمَا لُوطٌ: «لاَ، أرجوك يَا سَيِّدي. إنَّ عَبْدُكَ قَدْ نال حُظوةً فِي عَيْنَيْكَ، وَعَظُمَت رحمتك الَّتي صَنَعْتَها إِلَيَّ بِإبْقَائك على حياتي. إني لاَ أَستطيع النجاة إِلَى الْجَبَلِ دون أن يلحق بي الشَّرَّ فَأَمُوتَ. هُا إن هذه الْمَدِينَةَ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا، وَهِيَ صَغِيرَةٌ، فدعني أَنجو إليها -أَلَيْسَتْ صَغِيرَةً؟- فَتَحْيَا نَفْسِي".

فَقَالَ لَهُ: "هاءنذا قَدْ أكرمتُ وَجْهَكَ فِي هذَا الأَمْرِ أَيْضًا، بأَنْ لاَ أَقْلِبَ الْمَدِينَةَ الَّتِي ذكرتهَا. أَسْرِعِ بالنجاة إِلَى هُنَاكَ، فإنِّي لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعملَ شَيْئًا إلى تَصير إِلَيها". لِذلِكَ سُمِّيت الْمَدِينَةِ صُوعَر)(١) سفر التكوين: ١٩: ١- ٢٢ .

ويتضح من خلال المقارنة بين النصوص القرآنية، ونص العهد القديم، أوجه الاتفاق التالية:

(١) العهد القديم (٩٤- ٩٥).

١- ضيافة لوطٍ، (عليه السلام)، للوافدين إليه.

٢- الهجوم الجماعي المسعور من قوم لوط، على بيته.

٣- المدافعة والممانعة الشديدة من لوطٍ، (عليه السلام).

٤- عرض بناته على قومه، دفعًا عن ضيفه.

٥- بجاحة قومه وسعارهم لارتكاب الفاحشة.

٦- إفصاح الأضياف عن حقيقتهم، ومهمتهم، وحمايتهم للوط، (عليه السلام)، من عدوان قومه.

٧- أمرهم للوط، (عليه السلام)، بالخروج بأهله، والمضي قدمًا، وعدم الالتفات.

كما تظهر الفروقات التالية بين النصين:

١- يحدد العهد القديم رسل الله باثنين فقط: "فَجَاءَ الْمَلاَكَانِ إِلَى سَدُومَ مَسَاءً" ويصفهما تارة بالرجلين: " وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ". وقد لاحظ المعلقون على العهد القديم هذا الاضطراب، فقالوا: (الغموض نفسه يحيط بالأبطال: "فالملاكان" اللذان نجدهما في ١٩/١ هما "الرجلان" اللذان فارقا الرب بعد زيارة "الرجال الثلاثة" لإبراهيم. لكنهما لا يزالان يسميان "رجلين" في بقية الفصل (ما عدا الآية ١٥) وهما يتكلمان أو يُكلَّمان تارة بصيغة الجمع، وتارة بصيغة المفرد، بصفتهما يمثلان الرب الذي لا يتدخل شخصيًا[١]).

بينما يعبر النص القرآني، بشكل مطرد، بصيغة الجمع: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا ﴾، ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ ﴾، ﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾. وفي التعبير بـ (قوم) ما يقضي على احتمال إرادة أقل الجمع باثنين.

٢- تظهر رواية العهد القديم رغبة قوية، وإلحاحًا شديدًا من لوطٍ، (عليه السلام)، في استضافة الوفد في بيته، ولا ريب أن ذلك هو المتفق مع أخلاق الأنبياء، (عليهم السلام)، في الأحوال الطبيعية. لكن الوضع الاجتماعي للوطٍ، (عليه السلام)، يأبى ذلك! فمن جهة، كان قومه، وهو طارئ عليهم، قد اشترطوا عليه ألا يضيف أحدًا، كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ نَنۡهَكَ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحجر: ٧٠]، ولم يعترض على دعواهم. قال الطبري، وحكاه عن قتاده، (رحمه الله): (أو لم ننهك أن تضيف أحدا من العالمين)[٢].

وكذا تشعر رواية العهد القديم: "هذَا رجل ينزل بنا فيقيم نفسه حاكمًا!". لكن النص القرآني يشير إلى امتعاض لوطٍ (عليه السلام)،؛ وأنه لحقه حرج عظيم، ومرَّ به يوم عصيب، كما قال تعالى: **(وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ)**، وقال: **(وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا)** وذلك يدل على أنهم أتوه

---

(١) العهد القديم (٩٤) حاشية ١.

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ١١٧).

ولم يدعهم، فضلًا عن أن يلح عليهم، لعلمه بحال قومه. وقد روى الطبري، (~)، عن قتادة، قصة طويلة، تفيد هذا المعنى، لخصها ابن كثير، (~)، بقوله: (وَذَكَرَ قَتَادَةُ أَنَّهُمْ أتوه وهو في أرض له فَتَضَيَّفُوهُ، فَاسْتَحْيَا مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ أَمَامَهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، كَالْمُعَرِّضِ لَهُمْ بِأَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُ: إِنَّهُ، وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، مَا أَعْلَمُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَهْلَ بَلَدٍ أَخْبَثَ مِنْ هَؤُلَاءِ. ثُمَّ مَشَى قَلِيلًا ثُمَّ أَعَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى كَرَّرَهُ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ)[١].

٣- تجزم رواية العهد القديم أن لوطًا، (عليه السلام)، قدم ابنتيه فداءً لعرض ضيفه: "هُاءنذَا لِي ابْنَتَانِ ما عرفتا رَجُلاً: أُخْرِجُهُمَا إِلَيْكُمْ، فَاصنعوا بِهِمَا مَا حَسنَ فِي أعيُنِكُمْ. وَأَمَّا هذَانِ الرَّجُلاَنِ، فَلاَ تَفْعَلُوا بِهِمَا شَيْئًا، لأَنَّهُمَا دَخَلاَ تَحْتَ ظِلِّ سَقْفِي". وقد علقت الرهبانية اليسوعية على ذلك بالقول: (كان شرف المرأة في ذلك الزمن أقل قيمة من واجب الضيافة المقدس)[٢]، مما يدل على أنهم فهموا المعنى المباشر! في حين ذهب المفسرون من أهل الإسلام إلى تأويلات أخرى. قال إمام المفسرين، ابن جرير الطبري، (~): (يعني نساء أمته، فانكحوهن فهنّ أطهر لكم)[٣]، وروى بسنده عن مجاهد: (لم تكن بناته، ولكن كنَّ من أمّته، وكل نبي أبُو أمَّته)[٤] ، وفي رواية عنه: (أمرهم أن يتزوجوا النساء، لم يعرضْ عليهم سفاحًا)[٥]. وروى بسنده عن قتادة: (أمرهم أن يتزوجوا النساء، وأراد نبي الله (ﷺ) أن يَقي أضيافه ببناته)[٦].

وقال ابن كثير، (~): (يُرْشِدُهُمْ إِلَى نِسَائِهِمْ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ لِلْأُمَّةِ بمنزلة الوالد. فَأَرْشَدَهُمْ إِلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ لَهُمْ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى: "أَتَأْتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ الْعالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْواجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ")[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٠).

(٢) العهد القديم (٩٥) حاشية ٣.

(٣) تفسير الطبري (١٥/ ٤١٣) .

(٤) المرجع السابق: (١٥/ ٤١٤).

(٥) المرجع السابق: (١٥/ ٤١٤).

(٦) المرجع السابق (١٥/ ٤١٤).

(٧) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٠).

وقال ابن الجوزي، (~): (وفي قوله: "هؤُلاءِ بَناتِي" قولان:

أحدهما: أنهن بناته لصلبه، قاله ابن عباس. فإن قيل: كيف جمع، وإنّما كن اثنتين؟ فالجواب: أنه قد يقع الجمع على اثنين، كقوله: "وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شاهِدِينَ".

والثاني: أنه عنى نساء أمته، لأن كل نبي أبو أمته، والمعنى: أنه عرض عليهم التزويج، أو أمرهم أن يكتفوا بنسائهم. وهذا مذهب مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج. فإن قيل: كيف عرض تزويج المؤمنات على الكافرين؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنه قد كان يجوز ذلك في شريعته، وكان جائزاً في صدر الإسلام حتى نسخ، قاله الحسن.

والثاني: أنه عرض ذلك عليهم بشرط إسلامهم، قاله الزجاج. ويؤكده أن عرضهن عليهم موقوف على عقد النكاح، فجاز أن يقف على شرط آخر)(١).

وثمَّ توجيه ثالث لقوله: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ ﴾، مبناه على إرادة الظاهر، ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي، (~)، فقال: (لعلمه أنه لا حق لهم فيهن، كما عرض سليمان للمرأتين حين اختصمتا في الولد، فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما. ومن المعلوم أنه لا يقع ذلك، وهذا مثله. ولهذا قال قومه: "لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ " وأيضًا يريد بعض العذر من أضيافه. وعلى هذا التأويل لا حاجة إلى العدول إلى قول بعض المفسرين "هَؤُلَاءِ بَنَاتِي" يعني زوجاتهم، يعني لأن النبي أبٌ لأمته، فإن هذا يمنعه أمران:

أحدهما: قوله: "هَؤُلَاءِ بَنَاتِي" يشير إليهن إشارة الحاضر.

ثانيًا: هذا الإطلاق على زوجاتهم لا نظير له، وأيضًا، النبي إنما هو بمنزلة الأب للمؤمنين به، لا للكفار. والمحذور الذي توهموه يزول بما ذكرنا، وأنه يعلم أنه لا حق لهم فيهن، وإنما يريد مدافعتهم بكل طريق)(٢).

فأهل الإسلام، يُبَرِّؤون نبي الله، وينزهونه عن إرادة السفاح، بأي حال. بينما يجزم اللاهوتيون بمعنى السوء، ولا يبالون بوصفه، (عليه السلام)، بالدياثة.

٥- تفيد رواية العهد القديم إلى شمول عرض النجاة لغير بيت لوط: "مَنْ لَكَ أَيْضًا ههُنَا؟ أَصْهَارَكَ وَبَنوكَ وَبَنَاتِكَ وجميع مَنْ لَكَ فِي الْمَدِينَةِ، أَخْرِجْهم مِنَ هذا الْمَكَانِ"! وكأنما الأمر نوع "محسوبية" ومحاباة، على غير أساس المعتقد، ولو كانوا كافرين، بدليل أن أولئك المرشحين للنجاة، جابهوا عرضه بالسخرية: "فَكَانَ كَمَازِحٍ فِي أَعْيُنِ أَصْهَارِهِ". بينما يحسم النص القرآني القضية، ويحدد المخرجين بأهل بيت واحد، ويحدد، وقوله: (الناجين من ذلك البيت بالمؤمنين

(١) زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٣٩٠).

(٢) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف(٢١٥-٢١٦).

منهم فقط، وينص على هلاك أحد أفراده سلفًا. قال تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]، وقال: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ﴾ [هود: ٨١]، وقال: ﴿ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٣]، وقال: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القمر: ٣٣ - ٣٥]، ولا ريب أن سنن الله الكونية، في النصر والإنجاء، مقيدةٌ بوصف الإيمان، ليس إلا! كما قال تعالى في النصر: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١]، وقوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الروم: ٤٧]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد: ٧].وقال في الإنجاء: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقوله: ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وأمثاله.

٦- يفيد نص العهد القديم بأن لوطًا لم يمتثل أمر الملكين بالخروج بأهله ليلًا، رغم الإلحاح، وطلع الصبح وهو في موضعه مترددًا، مما اضطرهم إلى إخراجهم عنوة: "فلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ، أَلَحَّ الْمَلاَكَانِ على لُوطٍ قَائِلَيْنِ: "قُمْ فخُذِ امْرَأَتَكَ وَابْنَتَيْكَ الْمَوْجُودَتَيْنِ هنا، لِئَلاَّ تَهْلِكَ بِعقاب الْمَدِينَةِ". فتردَّد لوط، فأَمْسَكَ الرَّجُلاَنِ بِيَدِهِ، وَبِيَدِ امْرَأَتِهِ وابْنَتَيْهِ، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ عَلَيْهِ، وَأَخْرَجَاهُ وَوَضَعَاهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ"! .

بينما يجري الحدث في النص القرآني بسلاسة، ودون تردد، كما أخبر تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [القمر: ٣٤]، فقد امتثلوا أمره: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ ﴾ [هود: ٨١، الحجر: ٦٥].

قال الجوهري: (وسريت سُرًى ومسرًى وأسريتُ بمعنًى، إذا سرت ليلًا...وإنما قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ وإن كان السُرى لا يكون إلا بالليل، للتأكيد)(١).

ولا ريب أن هذا هو الأليق بهذا النبي الكريم، كما أنه الأوفق بالطبيعة البشرية المجبولة على طلب السلامة ودفع المكروه. ولذلك نلحظ التناقض في تصوير حال لوطٍ، (عليه السلام)، في العهد القديم، فبينما يصوره مترددًا في الخروج من

(١) الصحاح. إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط: دار العلم للملايين. الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩ بيروت. (٦/ ٢٣٧٦).

الهلاك المحقق، يصوره متلهفًا للنجاة بعد ذلك: "إني لاَ أَستطيع النجاة إِلَى الْجَبَلِ دون أن يلحق بي الشَّرَّ فَأَمُوتَ. هُا إن هذه الْمَدِينَةَ قَرِيبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْهَا، وَهِيَ صَغِيرَةٌ، فدعني أَنجو إِليها"!

المبحث الرابع

لوطٌ، (عليه السلام)، بعد إهلاك قومه

أهلك الله قوم لوط بعذاب غير مسبوق، لم يعذبه أحدًا من العالمين، لكونهم ارتكبوا جرمًا غير مسبوق، لم يسبقهم إليه أحدٌ من العالمين. قال تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١]، وقال: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ ﴾ [العنكبوت: ٢٨، ٢٩]. فكان الجزاء من جنس العمل؛ لما انتكست نفوسهم، نكس الله ديارهم رأسًا على عقب.

والقرآن العظيم يصف هذا الحدث الرهيب، والإنجاء العجيب، بآيات مجلجلة فيها عبر وعظات، ودلالات بالغات: قال تعالى: ﴿ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٧٠ – ١٧٥]، وقال: ﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ

حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الذاريات: ٢٥ – ٣٧] ، وقال: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحجر: ٧٣– ٧٤]، وقال: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر: ٣٤، ٣٨]، وقال: ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النجم: ٥٣، ٥٤]، ويسدل الستار على المشهد بعبارة جامعة: ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٣٥]، ولا يتحدث عما جرى للوط وابنتيه بعد الإنجاء، لحصول المقصود والعبرة.

أما العهد القديم، فيصف الفصل الأخير من القصة على نحوٍ آخر:

(ولما أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ عَلَى الأَرْضِ، دَخَلَ لُوطٌ صُوعَرَ، وأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتًا وَنَارًا مِنَ السَّمَاوات، وَقَلَبَ تِلْكَ الْمُدُنَ، وَكُلَّ السهل، وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمُدُنِ، وَنَبَاتِ الأَرْضِ. فالتفتت امْرَأَةُ لوطٍ إلى وَرَائِها، فَصَارَتْ نصب مِلْحٍ.

فبَكَّرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي وَقَفَ فِيهِ أَمَامَ الرَّبِّ، وَتَطَلَّعَ إلى جهة سَدُومَ وَعَمُورَةَ، وَأَرْضِ السهل كلها وَنَظَرَ، فإِذَا دُخَانُ الأَرْضِ صاعدٌ كَدُخَانِ الأَتُّونِ.

وَلَمَّا أَهلك اللهُ مُدُنَ السهل، ذَكَرَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ، فانتشل لُوطًا مِنْ وَسَطِ الكارثة، حِينَ قَلَبَ الْمُدُنَ الَّتِي كان لُوطٌ مقيم فيها.

وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوعَرَ وَأقام فِي الْجَبَلِ، هو وَابْنَتَاهُ مَعَهُ، لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَقيم فِي صُوعَرَ. فَأقام فِي مَغَارَةٍ هُوَ وَابْنَتَاهُ.

فَقَالَتِ الْكبرى لِلصُّغرى: "إن أَبَانَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ يَدْخُلُ عَلَيْنَا على عَادَةِ الأَرْضِ كلها. تعالي نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنضاجعُه ونقيم مِنْ أَبِينَا نَسْلاً". فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَجاءت الكبرى فضاجَعَتْ أباها، وَلَمْ يَعْلَمْ بنيامها وَلاَ قِيَامِهَا. فلما كان الغَدُ، قَالَتْ الكبرى لِلصُّغرَى: "هاءنذا قَدِ ضاجَعْتُ أمسِ أَبِي، فلنَسْقِهِ خَمْرًا هذه اللَّيْلَةَ أَيْضًا، وتعالِي أنت فضاجعِيه، لنقيم مِنْ أَبِينَا نَسْلاً". فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا، وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ فضاجَعَتْهُ، وَلَمْ يَعْلَمْ بنيامها وَلاَ قِيَامِهَا. فَحَملَتِ ابنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. وولَدَتِ الكبرى ابْنًا وسَمَّته "مُوآبَ"، وَهُوَ أَبُو الْمُوآبِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصُّغرى أَيْضًا وَلَدَتِ ابْنًا وسَمَّته "بَنْعَمِّي"، وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ)[1] سفر التكوين: ١٩: ٢٣– ٣٧

ويتضح من خلال المقارنة بين النصين أوجه الاتفاق التالية:

١– توقيت الإهلاك، وهو الصباح، حين شروق الشمس.

٢– صفة الإهلاك، من القلب، والأمطار بالرجز من السماء.

٣– نجاة لوطٍ (عليه السلام)، وابنتيه، وهلاك امرأته بسبب الالتفات.

وأما أوجه الافتراق بين نصوص الذكر الحكيم، ونصوص العهد القديم، ففي الجوانب المهمة التالية:

(١) العهد القديم (٩٥– ٩٦).

١- **بعض التفاصيل التي وردت في العهد القديم، وسكت عنها القرآن العظيم، مثل:** دخول لوطٍ، (عليه السلام)، بلدة "صوعر"، ثم صعوده الجبل وسكنى المغارة، وذكر مادة الإمطار؛ الكبريت والنار، وتطلُّع إبراهيم، (عليه السلام)، إلى جهة سدوم. فهذه تجري عليها قاعدة "الإسرائيليات"، فيما لم يرد في كتابنا ما يصدقه، أو يكذبه، فلا يقطع بها نفيًا ولا إثباتًا، ويجوز التحديث بها[١].

٢- **وصفت رواية العهد القديم هلاك امرأة لوط بهذه الصفة:** " فالتفتت امْرَأَةُ لوطٍ إلى وَرَائِها، فَصَارَتْ نصب مِلْحٍ"! بينما أجمل النص القرآني صفة هلاكها بمثل ما أصاب قومها، وحسب، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ** ﴾ [هود: ٨١]. وذكر جمع من المفسرين أن ذلك كان بحجر من السماء. وعلق ابن كثير، (~)، فقال: (وَذَكَرَ هَؤُلَاءِ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ، أَنَّهَا خَرَجَتْ مَعَهُمْ، وَأَنَّهَا لَمَّا سَمِعَتِ الْوَجْبَةَ الْتَفَتَتْ وَقَالَتْ: وَاقَوْمَاهْ. فَجَاءَهَا حَجَرٌ مِنَ السَّمَاءِ فَقَتَلَهَا)[٢].

٣- تضمنت رواية العهد القديم وصف الله بما لا يليق به: "ذَكَرَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ"! وذلك يقتضي حصول نسيان وذهول، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. والقرآن العظيم ينفي عن الله هذا الوصف، لما فيه من العيب والنقص. قال تعالى: ﴿ **لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى** ﴾ [طه: ٥٢]. قال ابن كثير، (~): (أَيْ: لَا يَشِذُّ عَنْهُ شَيْءٌ، وَلَا يَفُوتُهُ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، وَلَا يَنْسَى شَيْئًا. يَصِفُ عِلْمَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ، وَأَنَّهُ لَا يَنْسَى شَيْئًا، تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَتَقَدَّسَ، فَإِنَّ عِلْمَ الْمَخْلُوقِ يَعْتَرِيهِ نُقْصَانَانِ: أَحَدُهُمَا: عَدَمُ الْإِحَاطَةِ بِالشَّيْءِ، وَالْآخَرُ نِسْيَانُهُ بَعْدَ عِلْمِهِ، فَنَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ)[٣].

٤- **تضمنت رواية العهد القديم طعنًا بليغًا**، وقذفًا شنيعًا، تقشعر منه الأبدان، وتشمئز منه النفوس، لآل لوطٍ المؤمنين المكرمين المتطهرين. فقد وصمت ابنتيه بالتحايل والفجور، والعقوق، وسقيا الخمور، والتعاون على الإثم والعدوان! وما يستتبع ذلك من وصم أبيهما بالدياثة وإقرار المنكر العظيم، الذي يأنف منه أراذل الناس، فكيف بالمصطفين الأخيار!.

وقد أثنى القرآن العظيم على هذا البيت الكريم ثناءً عطرًا يليق بأهله، وزكاهم ربهم فقال: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾** ﴾ [الذاريات: ٣٥]. بل إن قومه، على فسادهم وشذوذهم، شهدوا لهم شهادة حق بالطهر والنزاهة، ولذلك ضاقوا بهم ذرعًا: (وَقَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) [الأعراف: ٨٢]، ﴿ **۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾** ﴾ [النمل: ٥٦]. ثم يأتي هؤلاء الكتبة الكذبة الكفرة الفجرة، ليصموا نبي الله، (عليه السلام)، وابنتيه المؤمنتين الطاهرتين، بالسوء!.

---

(١) انظر ما تقدم: (٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٩).

(٣) المرجع السابق (٥/ ٢٩٨).

ويسوغ هؤلاء المحرفون للكلم عن مواضعه، دعواهم الفاجرة باختلاق من صنع خيالاتهم المأفونة: "إن أَبانَا قَدْ شَاخَ، وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ يَدْخُلُ عَلَيْنَا على عَادَةِ الأَرْضِ كلها. تعالي نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنضاجعُه ونقيم مِنْ أَبِينَا نَسْلاً".

سبحان الله! وهل فارقوا قومهم إلا بسبب العهر والشذوذ، فكيف يعيدون الأمر جذعًا بمعاشرة المحارم! وهب أن لوطًا، (عليه السلام)، احتيل عليه واستدرج دون علمه ووعيه، حتى تكرر الأمر، أفلم يكن الله تعالى يعلم، فيوحي إليه ما يشاء، ويعصمه من السوء، كما عصمه من الهلاك! فأين يذهبون؟ ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات:١٨٠- ١٨٢] .

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات

النتائج:

تبين، بحمد الله، حقيقة هذا الحدث العظيم، وسيرة هذا النبي الكريم، وتم مقارنة نصوص العهد القديم بآي الذكر الحكيم، فجاء الحق وحصحص، وزهق الباطل ونكص. وجرى استخلاص الصواب، مما تضمنته روايات العهد القديم، من بين فرث ودم، موافقًا لما جاء به الكتاب. ومن نتائج ذلك:

أولًا: دعوة لوطٍ، (عليه السلام)، قومه إلى عبادة الله وتقواه، وزجرهم عن ارتكاب الفاحشة العظمى، بشتى السبل، ومقابلتهم إياه بالسخرية والتهديد بالنفي والإخراج.

ثانيًا: وفود الملائكة الكرام على لوطٍ، (عليه السلام)، ولحوق الكرب والحرج به من جراء محاولة قومه النيل من أضيافه، وحيلولة الملائكة، ودفعهم عنه، وإخباره بهلاك قومه، وأمره بالخروج ليلًا، وعدم الالتفات، سوى امرأته الخائنة.

ثالثًا: امتثال لوطٍ، (عليه السلام)، أمر ربه، ونجاته وابنتيه، وهلاك قومه، وامرأته، باقتلاع قراهم، وقلبها رأسًا على عقب، وإتباعها بحجارة من السماء.

رابعًا: براءة لوطٍ، (عليه السلام)، من افتراء الكذابين، ووصمهم إياه وابنتيه، بالزنا وشرب الخمر، والحمل سفاحًا.

خامسًا: صدق القرآن الكريم، وتناسبه، وتشابهه، وموافقته لمقتضى العقل والفطرة، وحفظه لجناب الله تعالى، وصونه لعرض أنبياء الله.

سادسًا: ثبوت التحريف في كتب بني إسرائيل، والتطاول على جناب الله تعالى، والقدح في أنبيائه الكرام.

التوصيات:

يوصي الباحث، بعد هذه التجربة البحثية، بما يلي:

أولًا: إجراء الدراسات المقارنة بين نصوص العهدين القديم والجديد، وآيات الذكر الحكيم، بغرض إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وتزييف التحريف.

ثانيًا: إعادة تعريف وتوصيف ما يسمى "علم مقارنة الأديان" بما يحفظ للقرآن صفة المرجعية المطلقة، وعدم التعامل معه، ومع مأثورات أهل الكتاب بصفة الندّية.

ثالثًا: إبراز أوجه موافقة "الإسرائيليات" لما جاء به القرآن، على أساس قوله تعالى: ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ ﴾[الأحقاف: ١٠]، وقوله: ﴿ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٌ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ [هود: ١٧].

رابعًا: نقد أوجه مخالفة "الإسرائيليات" لما جاء به القرآن، على أساس قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة: ١٥]، وقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [النمل: ٧٦].

خامسًا: التنبيه على ما احتملته بعض كتب التفسير من "الإسرائيليات" الباطلة، المنافية لدلالة الكتاب والسنة، والكشف عن جذورها الوضعية.

المصادر والمراجع

١- الإسلام والحضارة الغربية, المؤلف: محمد محمد حسين, الناشر: دار الفرقان

٢- البداية والنهاية, تأليف: عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي, تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر, الناشر: هجر للطباعة والنشر – الجيزة, الطبعة: الاولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧ م, عدد الأجزاء: ٢٠.

٣- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم), المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي, المحقق: سامي بن محمد سلامة,

الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع, الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م, عدد الأجزاء: ٨.

٤- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف

٥- جامع البيان في تأويل القرآن, المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م, عدد الأجزاء: ٢٤.

٦- الجامع الصحيح (سنن الترمذي), المؤلف: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي, الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت, تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون, عدد الأجزاء: ٥.

٧- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند. د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي. الناشر: مكتبة الرشد. الثانية. الرياض. ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٨- سنن ابن ماجه, المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني, الناشر: دار الفكر - بيروت, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, عدد الأجزاء: ٢.

٩- سنن الدارمي, المؤلف: عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي, الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت, الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ, تحقيق: فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي, عدد الأجزاء: ٢.

١٠- سنن النسائي الكبرى, المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي, الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت, الطبعة الأولى ١٤١١ - ١٩٩١, تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري , سيد كسروي حسن, عدد الأجزاء: ٦.

١١- الصحاح, إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط: دار العلم للملايين. الثانية ١٣٩٩-١٩٧٩ بيروت.

١٢- صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر, المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري, المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر, الناشر: دار طوق النجاة, الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ, عدد الأجزاء: ٩.

١٣- صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير), المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني, دار النشر: المكتب الإسلامي, بيروت, الطبعة: الثالثة, ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م, عدد الأجزاء: ٢.

١٤- صحيح مسلم, المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوريو الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت, تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, عدد الأجزاء: ٥

١٥- الكتاب المقدس. العهد القديم. مدخل إلى الكتاب المقدس: ص ٣٩. ط: الرهبانية اليسوعية. دار المشرق ش.م.م. بيروت الثالثة: ١٩٩٤م.

١٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل, المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني, المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون, إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي, الناشر: مؤسسة الرسالة, الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

فهرس الموضوعات



